الباب الأول:

الفصل الأول: توضيح وبيان لمصطلحات اللغة ووظيفة اللغة، وقد تعددت تعريفات اللغة لتداخلها مع الكثير من العلوم، فكل صاحب تخصص يعرفها من منظور تخصصه، إلا أنهم اتفقوا على أنها ذات طبيعة صوتية، وأشمل تعريف لها تعريف ابن جني: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

وتحدث عن تداخل المصطلحات وأسباب هذا التداخل، وأن هذا التداخل والتشعب في التخصصات يقتضي الدقة والتخصص والالتزام بالمصطلحات والمفاهيم.

وتحدث عن مستويات اللغة واللهجات، وأن علماءنا لم يستخدموا مصطلح (لهجة) واستخدموا (لسان)، وقد وجد الاختلاف في اللهجات منذ العصر الجاهلي ولم يكن متأخرًا، وأن في كل لغة مستويان فصيح ولهجات متعددة، وقد تتحول لهجة إلى لغة إذا اتسع الفارق بينها وبين لهجة أخرى من نفس اللغة. وهناك من العلماء من يرى أن اللغة ما لها آداب، إلا أن هذا ليس بصحيح فكل أمة ولغة لها آدابها وإن اختلفت مستوياتها.

وأخيرًا عرض للفروق بين فقه اللغة وعلم اللغة واختلاف دلالاتهما بين اللغويين من كل أمة، وخلاصته "أن الغربيين لا يتفقون على تعريف محدد لفقه اللغة، ففي حين يرى بعضهم أنه العلم الذي يدرس اللغة وكلماتها وقوانينها، يرى آخرون أن الأدب وخصوصًا نصوصه القديمة داخلة في نطاق فقه اللغه، ويسوي آخرون بينه وبين علم اللغة، ويرى غيرهم أنه الأرض الواسعة بين علم اللغة من ناحية وبين الدراسات الأدبية والإنسانية من ناحية أخرى". ثم عن نظريات نشأة اللغة ما بين التوقيف والاصطلاح والمحاكاة والغريزة و"خلاصة القول أن أيًا من النظريات التي حاولت تقديم تفسير لنشأة اللغة لم تسلم من النقد ولا من الرفض. وما ذلك إلا لأن موضوعها موغل في القدم والغموض".

الفصل الثاني: في مناهل فقه اللغة العربية ومصادرها، في هذا الفصل تحدث ولخص بإجادة عدد من الكتب المهمة في فقه اللغة ما بين القديم والحديث، وذكر ملاحظاته عليها.

ومهد لهذا الفصل بنشأة الدرس اللغوي، وذكر رأي عبده الراجحي بعزو النشأة وربطها بحفظ القرآن من اللحن "صواب لا شك. لكنه صواب غير كامل، أو هو صواب لم يلتمس السبب الأهم في نشأة هذا الدرس وتطوره. نعم؛ لقد كان حفظ القرآن من اللحن سببًا من الأسباب لكنه لم يكن السبب الأول، ولم يكن الغاية من الدراسة، والسبب الحقيقي -فيما نعتقد- لنشأة علوم اللغة عن العرب إنما هو السعي "لفهم" النص القرآني باعتباره مناط الأحكام التي تنتظم الحياة" ويرى المؤلف ألا تعارض بين من يرى النشأة للحفظ وبين من يراها للفهم، فهما رأيين يتكاملان.

الباب الثاني:

مقارنات سامية عربية: في نظريات وتصنيفات العلماء للغات ثم تركيز على اللغات السامية ومقارنة بينها على مختلف المستويات. انتهت بملاحظة مهمة "أن جل ما وصل إلينا من اللغات السامية القديمة إنما هو صيغ وجمل أدبية وعلمية، محفوظة في مؤلفات مختلفة، أما المفردات والعبارات التي كانت شائعة الاستعمال، عند مختلف الطبقات، فلم يصل إلينا منها شيء.

وهذا يعني أن معطيات الدراسة اللغوية ومادتها الأساسية غير متوفرة بالقدر الذي يسمح بإجراء دارسة علمية مقارنة دقيقة النتائج".

ثم نظرة في العربية نفسها واختلاف العلماء فيها ما بين عربية جنوبية وشمالية، وعربية بائدة وباقية وعرض لبعض النقوش القديمة وتحليلها.

ونقاش في الفصحى ونشوء اللغة المشتركة لمن يرى ذلك، ومال المؤلف إلى أنها لغة قرشية تفاعلت من اللهجات العربية الأخرى.

ثم نظرة سريعة على أثر الإسلام في اللغة وتطور دلالاتها وتغيرها.

الباب الثالث:

بحث في اللهجات العربية القديمة:

من جزئين: الأول: في أسباب نشوء اللهجات من انعزال جغرافي أو صراع لغوي بسبب غزوٍ أو هجرةٍ أو تجاور. وصعوبات في دراسة اللهجات العربية القديمة لانحصار اهتمام قدماء اللغويين على لهجتي قريش وتميم تقريبًا، وعدم عزوهم لباقي اللهجات أحيانًا، ولعدم تخصيصهم الدراسات اللغوية بكتب محددة، إذ المصادر مشتتة بين مختلف العلوم، ولكن أهم هذه المصادر وأكثرها دقة: القراءات القرآنية؛ لمنهجيتها الدقيقة في التلقي والعرض، فلم يكتفوا بمجرد السماع والنقل، فلابد من الأداء والعرض على الشيوخ.

الثاني: مختصر للقبائل العربية انتماءاتها وفروعها ومواطنها.

الفصل الأول: أهم الخصائص الصوتية للهجات العربية كما تبدو في القراءات القرآنية.

تحدث فيه عن القراءات القرآنية واختلاف العلماء في المقصود بالأحرف السبعة، ومال المؤلف إلى الرأي الذي يقول بأنها يقصد بها التعدد تسهيلًا وتيسيرًا كما هو منهج النبي ﷺ في جميع العبادات ،وليس القصد حصرها في عدد معين أو لهجات معينة. وممن ذهب إلى هذا الرأي علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما والقاضي عياض.

ثم نظرة مطولة في الخصائص الصوتية في القراءات وبين القراء.

الفصل الثاني: مقارنة ونظرة في أوجه الاختلاف بين لهجتي الحجاز وتميم. خلاصتها أن المشترك بين اللهجات العربية كثير، وأن التمايز والاختلافات بينها بسيطة، وأن لهجتي قريش وتميم ما هما إلا فرعان من لغة واحدة قد خضعتا لتطور تاريخي واحد.

الفصل الثالث: في ما يسمى باللغات المذمومة في بعض اللهجات، صفاتها ونسبتها وأماكن انتشارها ورأي العلماء بها.

الباب الرابع:

مسائل مفردات في العربية:

الفصل الأول: تعرض فيه لمباحث متفرقة من الاشتقاق والنحت في العربية، وخلص إلى أن العربية قابلة للنحت وقد برع المحدثون في استخدام النحت في التعريب وأن النحت جزء من الاشتقاق.

الفصل الثاني: في الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد، صفاتها ورأي العلماء واختلافهم في وجودها وعدمها وحقيقتها.

الفصل الثالث: تعريب الدخيل قديمًا وحديثًا، وتفرق العلماء إلى ثلاث ما بين منكر له ورافض، ومن يرى قبوله كله، ومتوسط بينهم بتعريب ما يمكن ادخاله ولا نجد له نظيرًا في اللغة من المصطلحات الحديثة.

الباب الخامس والأخير:

من مسائل اللغة المعاصرة:

الإعراب: عرض فيه بعض آراء المستشرقين ما بين متطرف في دعوى أن الإعراب اختراع النحاة ولم يوجد في لغة ولهجات زمن نزول القرآن، ومنصف يرى أن الإعراب أصيل وأن التخلص من الحركات جاء متأخرًا.

ولم يقف إنكار الإعراب على المستشرقين، فممن أنكره من العرب إبراهيم أنيس.

وقد رد العلماء على منكريه متقدمهم ومتأخرهم، ولم تكن حجج منكريه إلا حججًا متهافتةً، وأحيانًا يقودها الحقد والبغض والتعالي على العرب.

الفصحى والعامية: نظر لواقع العامية والفصحى، وردٌ على دعاة احلال العامية وعلى من يدعي انفصالهما وموت الفصحى. وحلول واقعية لتقريبهما وتقوية الفصحى بين الناس.